دخيلة آدمية .. قد لا يندر ان تحتك بها في حياتك، كان تكتشفها فجأة في احد المنعطفات اثناء رحلة العمر ..

انك تتبادل المفاجأة معها .. تفاجئها بان تعري على مستورها الذي كانت تحسب انه غير قابل للانكشاف .. وتفاجئك بان تتبدى لك على غير انتظار، لانكما على غير موعد.

انها داخل ادمي مريع التكوين .. انه نسيج خلوي عجيب ، يكونه مزيج محتقن في غليان وغلواء هائج مائج، من الغل والاضغان ، والكراهية والاحقاد ...

يخيل اليك حيثما عثرت به ، انك كنت تسير على سطح تربة آمنة المواطىء تحت الاقدام ، تكسوها خضرة معشبة ، ورواء مزهر ، تتصادى بين الفافه تراجيع الجنادب المزهوة القريرة في مآمنها الحريزة .. وفجأة !.. تنقشع اوهامك وتصدمك وهلة الهوي الى قعر دبق مظلم .. انك تغوص في بؤرة طينية موارة ، تصطفق في جنباتها ريح سموم من العفن النتن ، والاخباث المتراكمة في لزوجة موحلة ، والمتلاطمة في احتدام صخاب .. انك في مستنقع بركاني ومهول ، تتقاذفك في اطوائه متاهة سردابية صفيقة الاعتام ، تجتذبك تعاريجها وقنواتها لتدفعك الى اقبية ملتوية الدروب ، تكراء المنحنيات .. دخيلة تتمثلها في انشداه منكود ، وترى مخايلها على محيا المنطوي عليها، مشيعة في قسماته ضروب التشويه والمقابح ، مكشرة على اسنانه ونيوبه كضوار خرافية متحفزة للنهش والالتهام ، ضابطة لايقاع حركات اعضاء جثمانه ، في نسق فوضوي راضخ لجبرية اختلال عقيم . .

وربما تحركت في داخلك دوافع الاستطلاع الآمل ، فتعمد الى مواجهتها وفي قراراتك ما يشبه الريبة فيما يراه العيان ، متهما نفسك بانك ضخمت السراب في هاجرة لافحة من تقززك، وصورته لخيالك ماء آسنا يطفو على ارض مجهولة ، لم توفيها حقها من الاستكشاف ... فتعتزم السير القاصد الى النهاية ، وتتقدم بحماس ذوي النوايا الطيبة ، وتوغل في الجوس طلبا لجديد يؤكد ظنونك .. الا انك ، حيثما اوغل بك التسيار ، تشعر برتابة دوران الدوامة الفاغرة، التي تجتذبك كالبالوعة في نسق متماثل التركيب من كل اقطاره .. فكل مكوناته موحدة الهوية ، متشابهة الدلالة ، لها نفس الانعكاسات والتأثير في خلدك الباحث عن نهاية تقود الى مخرج من زقاق مقفل .. ولن يسعك بعد الخيبة غير التقهقر والرجوع من حيث اتيت ..

وانك لتعود .. ولكنها عودة مقيتة لو تمليتها مليا .. انك في رجوعك غير الذي كنته قبل الدخول ... لقد انتابك مزيج من التصدع والتدرن .. تصدع يماثل ما ينتاب يقين المؤمن الذي تسربت الى اعماقه افاعي الشكوك في معتقداته .. وتدرن يضاهي ما يحيق بالكيان السليم من تعفن جرثومي اليم .. انه ليس مجرد احساس الملطخ بالوحل والاقذاء بعد خروجه من مستنقع .. لان القذى قد مسك في اعماقك ، لقد شوهك في داخلك ، وترك آثار وصماته فيه الى حين ..

وانك لتتساءل في تصدعك : ترى يبلغ التفسخ بالنفس البشرية هذا المدى الرعيب ، فتنطوي على الغل ، تلابسه وتلتحم معه في لصوق حتى لتذوب فيه ويذوب فيها كالاخلاط في المحاليل ؟! .. الا يدل هذا المدى من التجاوب المشين بين بعض النفوس وضروب السفال على استعداد كامن في النفس الانسانية الى الانغمار في الاخباث ، والعب منها حتى الامتلاء ، كانها اكسيرها الضروري الذي لا حياة لها بدونه ؟! .. اليس هذا قصورا ملازما لطبيعتها ذاتها ، تنطوي عليه جبلتها الصميمة ، وتخفيه في سراديبها الطينية بغشاوة سطحية من الزهور والاعشاب الخادعة المظهر ، التي تستمد مقوماتها ورواءها من تربة سامة نتنة؟

وعندما يبلغ بك التساؤل مداه ، تتكشف لك خلل شقوق التصدع في داخلك المضطرب ، بثور صديدية غريبة عنك .. انها مزيج منغص وموجع من التقزز والمقت والنفور .. لقد فقدت في جانب معين من جوانب اعماقك ما كان فيه من صفاء الطوية ، وداخلك ما شبه الشعور بالعدوى من درن لم تسع الى اكتسابه وانما ارغمت على التلوث به .. فتجزع في مضاضة وتتحول مضاضتك الى طاقة فاعلة هي التي ستجعل من جزعك قوة تستثير عوامل المناعة في ذاتك ، لتؤدي ما هي مدعوة اليه من بذل المقاومة وجهد التطهير ..

طوية آدمية لا يندر ان تحتك بها في نهارك وليلك .. الا انك تشعر في كل مرة يتبدى لك فيها عراؤها الصراح ، ومهما تكرر ظهورها ، انك ترفضها تلقائيا .. ان هاجسا قويا يهمس في داخلك بانها ليست من طبيعة النفس الانسانية .. انها « دخيلة » .. كالنشاز في الايقاع النظيم .. كالسحابة في سماء صحو ..

ومع ذلك فهي « دخيلة » متحكمة طاغية ، تتلبس

أغنية إلى ولدي هشام

النجم يحكي طلعة الوليد
والورد يفتح الجفون
وتومض العيون
وتختفي غياهب الجدار
لا ظل يحجب النهار
عن مقلتي هشام
وتسكن الانات خلف غرفة المهاد
تخطّري عرائس الميلاد
تخطري امومة وطفل
وفرحة تنساب أغنيه
ورحلة الى القمر
تضم الف أمنيه
وبيننا على الهوى ميعاد
أعلامنا هنا ، هناك
وفي جبينك الصغير ظلها الوضيء
يرف ياهشام
وتفرش الطريق وردة السلام

***

من اجل مقلتيك ياهشام
نريق في الظلام دمعة العناء
نعبّ من مرارة الصراع
ونلتقي على الطريق صخرة
ترد عادي الضياع
ونسفح الاحلام في مخادع العطور
والليل في وسادة الورود تحت اعين الظلال
من أجل ان نراك قرة العيون
في عالم سماؤه زهور
وارضه أطفال

***

يا ليتنا نحيى
نعيش يا هشام
لعصرك الضحوك بالانغام
لعصرك المحطم الهموم والاحزان
القاهر الغيوب للانسان
لعصرك الذي ينام
في صدره الطريد بين رفقة وجار
يا ليتنا ندعوه ان يجيب
فلا يضن بالجواب
ونشهد انطفاءة المأساه
تذوب ، تختفي من العيون
تموت في الشفاه
وتسدل الستار خلف ظلها الكئيب

***

يا ليتنا نعانق الحياه
في موكب الاجيال حين ترفع الاعلام
وتنشر القلاع عبر عالم جديد
تحية لنجمها السعيد
يا ليتنا نحيى
نعيش يا هشام
لنشهد انتفاضة الزمان
عن مولد الانسان

القاهرة

حسن فتح الباب

بالداخل الذي تنتابه ، تلبس السرطان بالعضو ، والطاعون بالكائن ، فتصنع منه خلقا جديدا على هواها .. : مسخا متعفن الداخل ، شائه التشكيل ، قبيح القسمات ..

ومن ثم فلن تتمالك بعدها أن تتمتم على مضض : ـ «طوية مدخولة » .. ولربما بدا لك التعبير على شيء من الغموض لاول وهلة .. ولكنك مقتنع في اعماقك بانه يستمد غموضه من طبيعة الطوية التي جعلتك تنتقيه كافضل تعبير ممكن لتحديد مدلولها في اوجز صورة لغوية .. لانك تعلم ان الظواهر المعقدة البنية والدلالة كثيرا ما تند آمادوها عن نطاق الاطر التعبيرية التي توضع في قوالبها الموحيات !.

الطيب الشريف

(من مجموعة بعنوان : « اوراق رديئة » ـ محاولات مع نماذج مريضة)